الاهمية الجيوبوليتكية لاقليم الدونباس

ا.م.د. فيـــــان احمد محمد

المقدمة :- شكل اقليم الدونباس اهمية كبرى في السياسة الروسية و الاوكرانية ، والذي يتكون من جمهورتي (لوهانسك و دونتيسك) ، ويقع الاقليم جنوب شرق اوكرانيا ويمتاز بموارده الاقتصادية العالية في عام 1991 انفصل الاقليم عن روسيا و انضم لـ اوكرانيا ، ويسكنه اقليات متنوعه منها الروسية و الاوكرانية و بيلا روسية و هذه الجماعات تنتمي للعرق السلافي الا انها تختلف في اللغة فقط و تتشابه في الثقافة و العرق ، رغم كون الاقليم تحت السيادة الاوكرانية الا انه اغلب سكانه لهم ولاء لروسيا الاتحادية ، فشكل عام 2014 عاما لبدء صراع بين سكان اوكرانيا منهم يرغبون الانضمام لحلف الناتو و اخر معارض ، فالتواجد الروسي ضمن الاقليم يعد امرا طبيعيا بالنسبة لروسيا مع الحفاظ على عدم انضمام اوكرانيا لحلف الناتو الذ يشكل خطرا على الامن القومي الروسي .

مشكلة البحث : تتمحور في طرح التساؤلات التالية 1- لماذا لم تضم روسيا الاتحادية اقليم الدونباس عام 2014 عندما ضمت القرم ؟

2- لماذا اعلن سيلنسكي الانضمام لحلف الناتو ، هل الناتو يريد حربا مع روسيا ؟

3- هل يمثل اقليم الدونباس غنيمة اقتصادية لحلف الناتو ، ام موقعا ستراتيجيا قرب الكرملين ؟

4- ما اهمية مدينة ماريو بول بالنسبة لروسيا ؟

فرضية البحث : 1- لم ترغب روسيا بضم اقليم الدونباس الا في عام 2022 عندما شعرت بان انضمام اوكرانيا لحلف الناتو يشكل خطرا على امنها القومي ، وهنا جاءت استراتيجية حماية القلب الاوراسي من خطر شرق اوربا .

2- يشكل الانضمام لحلف الناتو الحلم الاوكراني و الهدف الاسمى للغرب و ذلك لانه يجعل من قوات الحلف على مقربة من موسكو، الامر الذي يشير لوقوع حرب عالمية .

3- يمتلك اقليم الدونباس كميات كبيرة جدا من الفحم ، و موقعا استراتيجيا مهما كونه يمثل البوابة الشرقية لاوربا.

4- تمتلك مدينة مايوبول اهمية استراتيجة كبيرة لانها تربط البر لاقليم الدونباس عبر مضيق كرتش بـ القرم .

منهج البحث :- اعتمد البحث على المنهج التاريخي و ذلك بغية التعرف على الاحداث التاريخية لاقليم الدونباس و دراسة اصول سكان الاقليم ، وكذلك اعتمد البحث على المنهج التحليلي لايضاح ما يمتلكه الاقليم من نقاط قوة و ضعف .

هيكلية البحث : قسم البحث على عدة مطالب اساسية تتمثل : -

1- الاهمية الجيوسياسية لاقليم الدونباس.
2- اهمية اقليم الدونباس بالنسبة لروسيا .
3- اهمية مدينة ماريو بول بالنسبة لروسيا .
4- الصراع على اقليم الدونباس.
5- السيناريوهات المستقبلية.

1- الاهمية الجيوسياسية لاقليم الدونباس :-

يعد الموقع الجغرافي اساسا لصراع بين القوى الدولية ، اذ يحتل اقليم الدونباس موقعا جيوسياسيا مهما جنوب شرق اوكرانيا ، كما انه يعد جزءا من دول شرق اوربا ، وهنا نلاحظ تطبيق نظرية (قلب الارض) لـ ماكيندر و وفقا لفروضه يمكن القول هل الخطر قادم من اوراسيا لشرق اوربا ، ام الخطر قادم من شرق اوربا نحو منطقة القلب (عبر اقليم الدونباس و واكرانيا) **ذكر ماكيندر** في نظرية هارتلاند في مقالته عام 1904 ، "المحور الجغرافي للتاريخ". في هذه النظرية، اقترح **هالفورد جون ماكيندر** أن كل من يتحكم في القلب (أوروبا الشرقية) ، يمكنه في النهاية التحكم في العالم، لأن ذلك يمنحه ميزة استراتيجية ويمكنه بسهولة السيطرة على إفريقيا وأوروبا وآسيا اقتصاديا وعسكريا.

بالنظر إلي الهجوم الروسي في أوكرانيا الواقعة في شرق أوروبا نجد أن لروسيا العديد من المكتسبات الاقتصادية والعسكرية من هذا الغزو؛ نظرا للموقع الاستراتيجي لأوكرانيا وغناها بالموارد التي تزيد روسيا قوةً وتجعلها لا تتأثر بأي عقوبات أو مقاطعات دولية، لذلك شكل حلف الناتو، و تدخله في اوكرانيا تهديدا لامن موسكو فما قامت به روسيا الاتحادية من احتلال لشبه جزيرة القرم و دعمها للانفصاليين في اقليم الدونباس نقطة تحول في سياسة روسيا بعد سنوات طويلة من الركود ، فاوكرانيا في الامن الروسي تمثل محور منطقة القلب (الحديقة الخلفية اي العمق الاستراتيجي) التي اكد عليها ماكيندر و دوغين الذي كان يعد روسيا مركزا للعالم و تستحق السيطرة على اوراسيا باكملها ، اما راتزل فكان تصوره بان الدولة كائن حي يجب ان تنمو و تتسع فمن أجل البقاء يجب على الدولة أن تقوم بعملية الضم (أراضي جديدة) ، و البقاء للاصح والاقوى وبتطبيق ذلك على روسيا نجد أن روسيا قامت بتوسيع نطاق نفوذها بشكل كبير في ظل حكم بوتين خلال السنوات السابقة ، وكما نلاحظ من خلال الغزو الروسي لأوكرانيا، فإن روسيا تعتزم مواصلة توسعها من أجل أن تصبح روسيا أكثر قوة وهيمنة عالميا بتلك التوسعات وأكثر أمنا ولاسيما بعد تخوفها من انضمام اوكرانيا لحلف الناتو ، بينما يتجه **دي لابلانش** اتجاها مغايرا لاتجاه المدرسة الألمانية في تفسيره الجيوبوليتيكي للأسباب الكامنة وراء اندفاع الدول إلى التوسع، إذ يرى أن راتزل وأتباعه يبالغون بشكل واضح في تقييم العامل الطبيعي او مايسمى بالحتم البيئي ، إذ يعدونه العامل الأساسي للتوسع، فيجادل دي

لابلانش من خلال نظريته "possibilism"أن الإنسان هو محور توسعات الدولة، اذ إن البيئة لا تملي ما سيصبح عليه الناس. [1]

فالبيئة توفر فقط الفرص والاحتمالات للأشخاص الذين بدورهم يختارون من بينها ما يرغبون في تحقيقه، فصناع القرار هم فقط من يجعلوا من العامل الجغرافي فعالا أو غير ذلك ، وتلك النظرية تتماشي مع العديد من الافتراضات التي تقول إنه لولا وجود شخص مثل بوتين في رئاسة روسيا بميوله ورغبته الدائمة في فرض السيطرة والقوة الروسية عالميا ورفضه الذي أعلنه في العديد من المناسبات لسقوط الاتحاد السوفيتي، لما غزت روسيا أوكرانيا من الأساس. فمن الممكن أن تكون رغبة بوتين إعادة تشكيل الاتحاد السوفيتي من جديد دون النظر لأي عواقب دولية ، و يمكن التطرق في هذا المحور لـ

- جغرافيا : -

المقومات الجغرافية ركيزة اسياسية لايضاح قوة اقليما ما (او دولة) نظرا لما يمتلكه الاقليم من مميزات تجعله يتصدر بالقيمة الاستراتيجية ، كما ان قيمته تزداد مع تطور الاحداث السياسية وتغير في موازين القوى .فعلى سبيل المثال (اقليم الدونباس) الذي يعد جزءا من دولة اوكرانيا التي تمثل البوابة الشرقية (للغرب) لدول حلف الناتو ، لذلك الموقع الجغرافي يشكل ركيزة اساسية لقوة و ضعف الدولة او الاقليم و اعطاء مكانة دولية.، و يقع اقليم "دونباس" في جنوب شرقي أوكرانيا، على المناطق المتاخمة للحدود مع روسيا.مابين خطي عرض (50,00 - 47,50) شمالا و قوسي طول (36,50 – 40,15) شرقا ، يحده شمالا و شرقا روسيا الاتحادية و غربا و جنوب غرب جمهورية اوكرانيا ، اما جنوبا يحده بحر اوزوف الذي يرتبط ببحر الاسود . ، وتبلغ مساحتها حوالى 52.3 كلم2 (انظر الجدول 1)ويسكنها أكثر من 4.5 مليون نسمة، 56.8 % منهم أوكرانيون و38.2 % مواطنون روس ، وتعرض سكان الاقليم لتهجير نتيجة العمليات العسكرية منذ 2014 والتي ما تزال بسبب التدخل الروسي [2].

خريطة (1) الموقع الجغرافي لاقليم الدونباس بالنسبة لاواكرانيا

المصدر :- . political Map of Ukraine ,Europ- Nations Online project

وعلى الرغم من أن مصطلح "إقليم دونباس" يطلق على مقاطعتي دونيتسك ولوغانسك في الشرق الأوكراني إلا أنه في الحقيقة لا يضمّ كل أراضيهما، ويتشكل فقط، من الجمهوريتين الانفصاليتين اللتين لهما نفس الاسم ، ويعرف دونباس في أوكرانيا باسم بورتمانتو حوض دونيتس وهي اختصار لحوض الفحم، اذ تعد أحدى اهم المناطق الغنية بحقول الفحم ، فالسبب الرئيس في فرض السيطرة والنزاع عليها هو الثروة الكبيرة التي تحتويها أرض دونباس، اضافة الى كمية الاحتياطي الكبيرة من الفحم ، كما أنها أكبر المناطق في أوروبا المتخصصة في إنتاج الصلب والمتخصصة في التعدين[3].

جدول (1) مساحة و السكان لاقليم الدونباس و اقسامه

ت	الوحدة الادارية	المساحة / كم الف	السكان / مليون نسمة
1	مقاطعة لوغانسك الجمهورية	26.6 8.3	2.2 1.5
2	مقاطعة دونيسك الجمهورية	26.5 8.9	4 2.3
3	اجمالي اقليم الدونباس	53.1	4.5

Volodymyr Lukichov, Tymofiy Nikitiuk, Liudmyla Kravchenko ،Civil Society in Donbas,Ukraine: Organizations and Activities ، DCAF - Geneva Centre for Security Sector Governance ،Switzerland ،2021 ،p 25.

خريطة (2) جمهورتي لوهانسك و دونتيسك

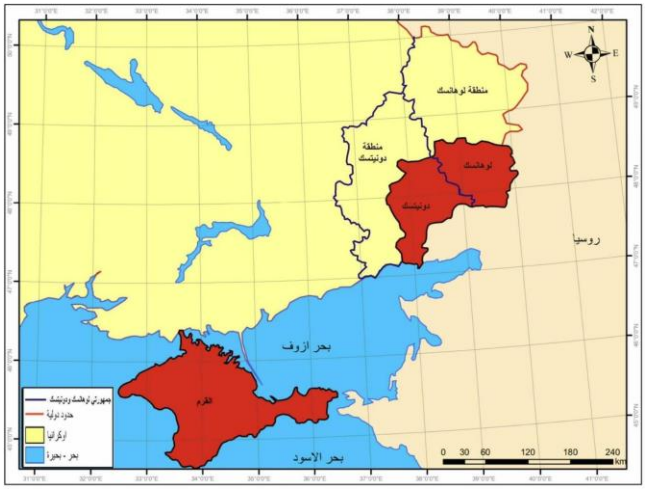

المصدر :- political Map of Ukraine ,Europ- Nations Online project

2 - اهمية اقليم الدونباس بالنسبة لروسيا :-

اكتسب اسم الدونباس المشتق من "فحم حوض نهر الدون" وأصبح جزءاً من أوكرانيا. وبرزت هويته السوفياتية مع تضاعف هجرات أبناء روسيا إليه حتى صاروا يمثلون غالبية سكان المدن، فيما ظل الأوكرانيون يمثلون غالبية سكان الريف وهذا ما يفسّر أن اللغة الروسية

هي لغة التعامل الرسمية فيه ،كما ان الأوكرانيين الذين عاشوا في المدن، تأثروا بثقافة روسيا وأخذوا يتحدثون بلغتها فضلاً عن الزيجات التي مزجت بين الطرفين ، وإقليم "الدونباس" الذي يعد طريقاً سالكاً لبلوغ "بحر أوزوف" الاستراتيجي، يضم جزءاً كبيراً من ثروات أوكرانيا الطبيعية بالإضافة إلى ما يحتويه من محطات لتوليد الطاقة ولاسيما النفط و الغاز. و وجود قوى عمالية كبيرة كونه أحد أهم مراكز الصناعات الثقيلة ، ويملك 60 مليار طن من احتياطي الفحم الذي يشكل 30 % من إجمالي الصادرات الأوكرانية ، واهم خصائص الاقليم :-

- الاهمية الجيوسياسية :- تتمتع مقاطعتا (دونتيسك ولوهانسك) اللتان تشكلان منطقة الدونباس بأهمية جيوسياسية لكل من اوكرانيا و روسيا و الدونباس يعد حقل فحم هام جدا ، اذ يشكل منه 5% من الاراضي الاوكرانية و يتمد نحو الاراضي الروسية الى الشرق .[4]
- الاهمية الاقتصادية :- تمتلك روسيا سببا اخر ، اذا تنظر روسيا لدونباس بانه جزءا مهما وضمن نفوذها ومجالها الحيوي او مايسمى (الفناء الخلفي) ، كما تدرج اوكرانيا من قائمة الخارج القريب فالتواجد الاوربي ضمن هذا النطاق يعد تهديدا لموسكو، التي تعتبر نفسها المسؤول عن حماية الناطقيين في اقليم الدونباس ، و يعد رابع اكبر حقل فحم في اوربا مع احتياطات قابلة للاستخراج يقدر بـ 1 مليار طن و كما يقطنها مايقرب 10% من سكان اوكرانيا و يسهم بما يقرب 20% من الناتج المحلي الاجمالي الاوكراني ، و يشكل رابع صادرات اوكرانيا فهو يمثل القلب الصناعي لطالما كان النظام الاقتصادي لجنوب روسيا مندمجا بعمق مع المقاطعات المجاورة في جنوب شرق اوكرانيا وقد ادى تصعيد الازمة في اعاقة حركة البضائع في جنوب غرب روسيا (اوكروغ الفيدرالية الجنوبية لروسيا) المتاخمة للمقاطعات الاوكرانية ، كما تعتمد روسيا على الاقليم في تزويده بـ المواد الخام لاسيما الفولاذ و محركات المروحيات. .[5]
- الاهمية التاريخية :- تاريخياً ،كانت المنطقة هامشية وقليلة السكان ، ولم تظهر إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، عندما أصبحت مواردها الغنية الامرالذي أدى في ظهور التعدين والصناعات ، خاصة خلال الحقبة السوفيتية ، و بطبيعة الحال ادى لنشوء مستوطنات محددة وتركز سكاني محدد ، لا تزال دونباس المنطقة الأكثر تحضراً في أوكرانيا (مع 20 في المائة من المستوطنات الحضرية في البلاد) وتمتلك نسبة عالية من السكان الناطقين بالروسية والروسية ولديهم روابط قوية نسبياً مع روسيا والاتحاد السوفيتي السابق ، سكنته قديماً القبائل التركية البدوية والمغول والتتار وغيرهم من الشعوب القادمة من وسط آسيا. وبقي بسبب الحروب المتتالية التي شهدها، فقيراً بأعداد السكان حتى النصف الثاني من القرن السابع عشر، حين أسست مجموعات سلافية مستوطناتها الدائمة فيه، بدأت الملامح الاجتماعية والاقتصادية لهذه البقعة الجغرافية، بالبروز خلال القرن الثامن عشر، ففي عام 1721 اكتشفت موارد الفحم الهائلة فيه الامر الذي

ادى لتنافس الروس والأوكرانيون والصرب واليونانيون بهدف العمل فيه. وشهد في أواخر القرن التاسع عشر أوج مرحلة ازدهاره واستغلاله اقتصادياً وصناعياً في ظل الثورة الصناعية التي نمت في جميع أنحاء أوروبا.

3- اهمية مدينة ماريو بول بالنسبة لروسيا :-

تحظى مدينة ماريوبول بموقع استراتيجي فريد، لذا فهي من بين الأهداف الرئيسة للقوات الروسية منذ توغلها العسكري في أوكرانيا ؛إ ذ تقع المدينة؛ البالغ عدد سكانها 400 ألف نسمة، بين المناطق الخاضعة لسيطرة الانفصاليين الموالين لروسيا في منطقة دونباس وشبه جزيرة القرم التي ضمتها روسيا عام 2014. ،ولا تفصل المدينة عن الحدود البرية والبحرية لروسيا إلا عشرات الكيلومترات، ما يعزز موقعها الجغرافي بالنسبة للقوات الروسية ، وفي حالة اتمام السيطرة على ماريوبول، فإن روسيا ستتمكن من إنشاء ممر بين روسيا ومنطقة دونباس وشبه جزيرة القرم، وبالتالي تمهيد الطريق أمام إحكام سيطرتها على بحر آزوف[6] ، ولا تقتصر أهمية ماريوبول على الجانب الجغرافي فقط، إذ أن لها ثقل اقتصادي اذ يمثل إنتاج الصلب ، الامر الذي جعلها مطنطقة مهمه في الاستراتيجية الروسية و الاوكرانية ، فمع اندلاع الحرب في منطقة دونباس عام 2014، تمكنت القوات الموالية لروسيا من طرد القوات الأوكرانية خارج المدينة، لكن الأخيرة نجحت في استعادتها بعد شهر من الهجوم، اذ ادت كتيبة "آزوف" اليمينية المتطرفة دورا رئيسا في إعادة ماريوبول إلى السيطرة الأوكرانية. ، ومنذ ذلك الحين، باتت ماريوبول قاعدة أساسية لهذه الوحدة، فيما ركزت القوات الروسية والموالية لها بشكل خاص على أعضاء هذه الكتيبة في مسعى للتأكيد على وجود جماعات يمينية متطرفة داخل الأراضي الأوكرانية ولوصم أوكرانيا بانها باتت "دولة نازية."

خريطة (3)

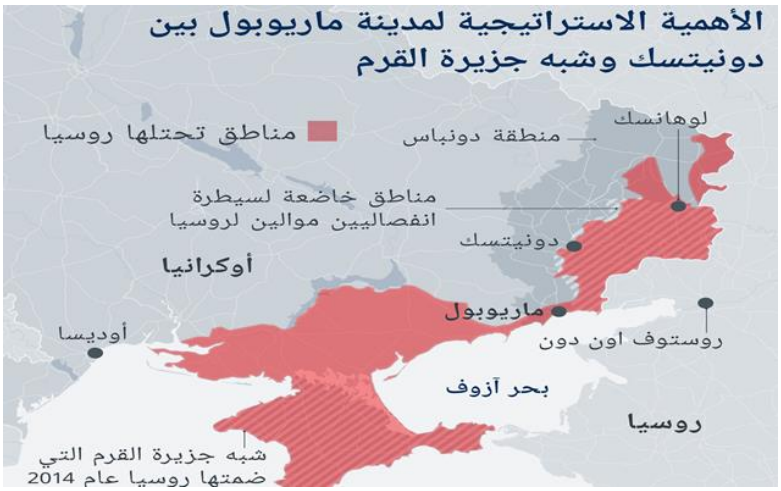

4- الصراع على اقليم الدونباس :-

شكل الصراع في الدونباس (الصراع الإقليمي الثاني) - بعد ضم شبه جزيرة القرم -الذي يؤثر على أوكرانيا بعد سقوط الرئيس فيكتور يانوكوفيتش في21 فبراير 2014 في سياق ما يسمى بالميدان الأوروبي. كما هو الحال في شبه جزيرة القرم ، شهدت المناطق الشرقية من أوكرانيا مظاهرات واشتباكات عنيفة بين مؤيدي ومعارضي الميدان الأوروبي ، وأثرت هذه الاحتجاجات في البداية على مساحة شاسعة من الجنوب الشرقي أوكرانيا ،الممتدة من أوديسا عبر ماريوبول على بحر آزوف إلى دونيتسكولوهانسك. وقد احتل المتمردون المباني الحكومية في العديد من المدن ،وسيطروا على مراكز النقل الهامة والمعابر الحدودية إلى روسيا.بينما فشلت الميليشيات الانفصالية في تأمين السيطرة على المراكز الإقليمية الرئيسة مثل خاركيف وأوديسا وماريوبول ، فقد تمكنوا من السيطرة على بلدات أخرى غرب دونيتسك ولوهانسك ،مثل كراماتورسك وسلوفيانسك ، وقد أعلن الانفصاليون جمهوريات دونيتسك ولوهانسك الشعبية في أبريل 2014، عن اجراء استفتاء في المنطقتين، وقد صوت 90% على الانفصال الا ان النتائج لم يعترف بها كون الاوضاع لم تكن نظامية و قانونية ، وذلك لان كييف غارقة تماماً في الأشهر الأولى من الحرب ، وكان المتمردون يتمتعون بميزة عسكرية. شنت الحكومة الأوكرانية المؤقتة"عملية لمكافحة الإرهاب" ضد الانفصاليين في أبريل ، لكنها تكبدت في البداية خسائر فادحة. خلال هذه الفترة ، وجدت أعداد متزايدة من المقاتلين والأسلحة الثقيلة طريقها عبر الحدود الروسية الأوكرانية إلى منطقة الحرب.

مع مرور الوقت ، نجحت أوكرانيا في إعادة تجميع صفوفها عسكرياً واستعادة الأراضي من الانفصاليين.في 17 يوليو 2014 ، تم إسقاط طائرة ركاب ماليزية الرحلة MH17بصاروخ بوك روسي مضاد للطائرات ، مما أسفر عن مقتل 298 شخصاً كانوا على متنها. اعتبر الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي هذا دليلاً على تورط روسيا في الحرب وشددوا عقوباتهم. في أغسطس 2014 ، مع مواجهة الانفصاليين هزيمة عسكرية على الرغم من الدعم الروسي ، تدخلت القوات الروسية بنشاط في القتال وألحقت هزيمة ثقيلة بالأوكرانيين في إيلوفيسك. أدت الوساطة الدولية في أعقاب ذلك إلى أول اتفاق لوقف إطلاق النار ، بروتوكول مينسك ، الموقع في سبتمبرفي العاصمة البيلاروسية.(بعد تصعيد متجدد في بداية عام 2015 ، تم الاتفاق على حزمة من ثلاثة عشر إجراء لتنفيذ بروتوكول مينسك في 12 فبراير 2015[7] .

كما شهدعامي 2014 و 2015 أسوأ الخسائر المرتبطة بالنزاع ، اذ أبلغت الأمم المتحدة عن 9100 حالة وفاة و 20700 جريح بحلول نوفمبر 2015.14منذ عام 2016 ، اقترب عدد القتلى السنوي من500 إلى 600 .على الرغم من التمديدات المنتظمة لوقف إطلاق النار ، لا يزال الوضع على طول خط التماس غير مستقراذ يحاول كلا الجانبين كسب الأرض وتحويل الخط لصالحهم ، في المقابل ،على سبيل المثال ، بالنسبة للصراعات في ترانسنيستريا أوأبخازيا أو أوسيتيا الجنوبية ، لا يمكن للمرء في هذه المرحلة التحدث عن استقرار الوضع العسكري يتضح هذه النقطة من خلال التصعيد في مضيق كيرتش. في 25نوفمبر 2018 ، أطلقت سفن دورية خفر السواحل الروسية النار علىزورقي مدفعية أوكرانيين وقاطرة حاولت العبور إلى بحر آزوف فيطريقها من أوديسا إلى ماريوبول. وأصيب عدد من البحارة الأوكرانيين بجروح بعضهم خطيرة. تم اعتقال الطواقم ونقلهم إلى سجن ليفورتوفو في موسكو. ردا على الرئيس الأوكراني فرضبت رو بوروشينكو الأحكام العرفية لمدة ثلاثين يوماً في المناطق المتاخمة لروسيا وشبه جزيرة القرم وطالب بالإفراج الفوري عن الطواقم المسجونين. من المنظور الأوكراني ، مثل الحادث مستوى جديداً من العدوان ، سعياً إلى وضع بحر آزوف تحت السيطرة الروسية - بما في ذلك إن أمكن شواطئه الشمالية لربط دونباس بشبه جزيرة القرم. وزعمت روسيا من جهتها أن السفن الأوكرانية انتهكت "مياهها الإقليمية [8]

كان تصعيد كيرتش متوقعاً ، وهو إلى حد ما يمثل نتيجة لضم شبه جزيرة القرم. كان الوضع على المضيق قد تصاعد بالفعل أثناء بناءجسر مضيق كيرتش (2016- 2018) ، الذي يربط شبه

جزيرة القرم بالبر الروسي ، يقيد الجسر بشكل خطير الوصول إلى بحر آزوف ، وبالتالي إلى الأوكراني موانئ ماريوبول وبيرديانسك ؛ على هذا النحو ، فقد عانت أوكرانيا بالفعل من خسائر اقتصادية كبيرة. وسعت البحرية الروسية من وجودها في المضيق بشكل مستمر منذ عام 2017 ، وأجرت عمليات تفتيش غازية على نحو متزايد على السفن المارة في 2015/2014 ، ضغط انفصاليون دونباس والقوميون الروس من أجلاء لاستيلاء على ماريوبول - القريبةً من اراضي الدونباس بهدف إنشاء جسر بري إلى شبه جزيرة القرم ، الآن اقامت جسر مضيق كيرتش يغير ميزان القوى في بحر آزوف ، مما أوجد صلة محتملة الانفجار بين شبه جزيرة القرم التي تم ضمها ومناطق الصراع في دونباس، كما شكل فرض كييف لحظر اقتصادي على المناطق الخارجة عن سيطرتها(المناطق غير الخاضعة لسيطرة الحكومة).[9]وفي 24 فبراير 2022 بدأ الجيش الروسي بتنفيذ ضربات عسكرية على طول الحدود الشرقية في خاركييف و كذلك اقليم الدونباس جمهورتي لوهانسك و دونتيسك والتي ما تزال مستمرة على طوال سبع شهور الماضية تحت ذريعة اعلان اوكرانيا بـ استفتاء جرى 2021 حول الانضمام لحلف الناتو ، الامر الذي اثار غضب روسيا، وتاتي منطقة الدونباس كاحد اسباب الصراع الروسي الاوكراني ، كونه يعد روسي الهوية رغم انه رسميا يقع تحت السيادة الاوكرانية ، كما ان سكان الاقليم يفضلون الانضمام الى روسيا ومن هنا تاتي الاهمية الاضافية لاقليم الدونباس .

5- السيناريوهات المستقبلية:-

- تتمثل وجهة النظر الامريكية و الاوربية بأن وجود اوكرانيا قوية ومستقلة يعد جزء من بناء "أوروبا كاملة وحرة وآمنة"، ويتطلب استكمال عمليات تأمين أوروبا –التي أخذت تتسارع عبر توسيع نطاق حلف شمال الاطلسي الاتحاد الاوربي - تقليص نفوذ روسيا والوصول إلى آخر نقطة ممكنة تلامس الاراضي الروسية، عبر إدماج أوكرانيا بمظلة الشراكة الاقتصادية والامنية .

- وفقا لاراء الكسندر دوغين، فإن الاوضاع في شرق اوكرانيا (ظهرت حركة انفصالية موالية لروسيا في إقليمي دونيتسك ولوغانسك في شرق اوكرانيا) والتي أدت إلى ضم روسيا لشبه جزيرة القرم واستقلال دونيتسك ولوغانسك، كانت ضرورة جيوبوليتيكية لموسكو؛ فإن ضم أوكرانيا ليس هدفا اوكرانيا؛ ، وإنما لا يمكن السماح بـ "احتلال الاطلسي لـ اوكرانيا، أو غربنة اوكرانيا وان التهديد الحقيقي هو احتمالية إدماجها في حلف الناتو، والاسواء أن تكون هناك قاعدة الناتو، على بعد

مسافة قريبة من موسكو وهنا تكمن اهمية شرق اوربا و خطرها لمنطقة القلب الاوراسيوية ،لم يكن التحرك الروسي اتجاه شرق اوكرانيا الا تحسبا منها لخطر الناتو واهمية حماية فناءها الخلفي الذي طالما شكل ريبه للروس و لاسيما بعد تفتت الاتحاد السوفيتي السابق الذي ترك ولايات متناثرة في محيطة .[10] ، وعليه يمكن القول ان أوكرانيا تشكل حصناً استراتيجياً واسعاً الذي يعزل روسيا عن الغرب وحلفائه، كما انها لن تتخلى عن شبه جزيرة القرم بعد ضمها اليها لأنها ضمنت الوصول الى البحر الأسود من دون اتفاقية مشتركة مع أوكرانيا المعرضة للنفوذ الغربي، وهذا يتطلب من اوكرانيا لمواجهة روسيا **ثلاث سيناريوهات** :-

السيناريو الاول: استخدام عامل الردع والذي يعتمد على القوات المسلحة في ساحة المعركة اذ تحتاج اوكرانيا إلى قوات مسلحة قادرة على شن حرب بأسلحة متطورة وقوات كبيرة وهذا لن يحدث دون تحول شامل لنظام دفاعي عانى لسنوات من الإهمال المالي والتنظيمي، ويتطلب هذا المشروع إرادة سياسية واضحة ومتماسكة وقيادة قادرة على مواجهة روسيا وهذا السيناريو مستبعد لان القدرة الروسية اعلى من قدرة اوكرانيا.

السيناريو الثاني: اللجوء الى مشهد التعاون بين الدولتين وهذا شيء تدعمه حقائق الجغرافيا والتاريخ والمصالح المشتركة بين الدولتين، ان انموذج للتعاون ينتج عنه حالة من الاستقرار بينهما سيما مع وجود عوامل واهداف مشتركة كالتعاون الاقتصادي في مجال الطاقة ، اذ تعتمد اوكرانيا على الغاز الروسي بنسبة (70%) كما انها طريق لمرور انابيب الغاز الى اوربا(خريطة 5) فأن التعاون بينهما بهذا المجال له مردودات ايجابية على اوكرانيا وهذا المشهد يتحدد بعدد الفرص الداعمة الى جانب بعض المعوقات التي تحول دون تحقيقه سيما من دول الغرب التي لا تشجع على هذا التعاون خوفا من امتداد النفوذ الروسي الى ابعد من اوكرانيا ، وقد تعرض الاقتصاد الأوكراني للصدمات الخارجية نتيجة اعتماد أوكرانيا على الواردات لتلبية حوالي ثلاثة أرباع احتياجاتها السنوية من النفط والغاز الطبيعي و(100%) من احتياجاتها من الوقود النووي، حيث تستورد (70%) تقريبا من حاجتها للغاز من روسيا نحو (42 مليار $م^3$ سنويا)، كما تمر فيها انابيب نقل الغاز الروسي الى السوق الاوربي للتصديرلذلك نجحت روسيا في استعمال الغاز كسلاح ضد أوكرانيا، الأمر الذي تسبب في تدهور الاقتصاد الاوكراني، سيما أن أوكرانيا بلد بارد ومساحته كبيرة اذ يحتاج إلى موارد الطاقة وعلى رأسها الغاز بكميات كبيرة لسد الاحتياج المحلي [11]

خريطة (5) شبكة أنابيب نقل الغاز والنفط الروسي عبر أواكرانيا الى اوربا

المصدر: فيحاء كامل عباس، الأهمية الجيوبولتيكية لشبه جزيرة القرم في الأمن القومي الروسي، رسالة دكتوراه (غير منشوره)) كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2017، ص158.

السيناريو الثالث: اللجوء الى الغرب (الاتحاد الاوربي والولايات المتحدة الامريكية) التي يجب ان تتبنى نهجاً أكثر صرامة باستخدام سياسة الضغط الدبلوماسي على موسكو، واستمرار العقوبات المفروضة عليها، ويجب أن يقتنع بوتين أن الأوضاع لن تعود لسابق عهدها طالما تُستَخدَم مختلف أساليب الحرب لإبقاء أوكرانيا غير مستقرة ، ورغم التطمينات الغربية لأوكرانيا ببقاء العقوبات الاقتصادية على روسيا الا انها غير كافية كون الاتحاد الاوربي يعاني من خطر التفكك بعد خروج بريطانيا، اضافة الى ذلك قد يحذو بعض اعضاء الاتحاد حذو بريطانيا بالخروج من الاتحاد، لذلك تعمل دول الاتحاد الاوروبي جاهدة لكي تظهر متماسكة، لكن هذا الاتحاد مازال منقسماً على نفسه خاصة حول مسألة توزيع حصص اللاجئين وقضايا اخرى، ومازال مهدداً بالتفكك، الخطوة الجديدة

التي اتخذتها دول الاتحاد الاوروبي بزعامة فرنسا والمانيا بإيجاد قوات دفاع مشتركة (جيش اوروبي موحد) تعد ردة فعل لسد الثغرات في الامن والدفاع في اعقاب خروج بريطانيا من الاتحاد ومواجهة سياسة ترامب الجديدة خوفاً من تفكك الاتحاد الاوروبي ويواجه الاتحاد مخاوف أكثر إلحاحاً من مواصلة الضغوط على روسيا لأنه ما زال يعتمد على مصادر الطاقة الروسية[12] ، يستند السيناريو الى فروض وهي اوكرانيا من وجهة نظر الكتلة الغربية والاتحاد الاوربي هي اكبر دولة اوربية خارج الاتحاد الاوربي وهي الاطار الامني للكتلة الغربية، والتي تسعى لانضمامها اليه لأهميتها الاستراتيجية ولموقعها الجغرافي الذي يربط بين قارة اسيا واوربا وهي منطقة لالتقاء المصالح الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية بين القارتين، ومحاولة توسيع الاتحاد الاوربي نحو شرق القارة لان معظم دول الاتحاد الاوربي متمركزين في الجزء الغربي من قارة اوربا، لذلك جاء الاهتمام بأوكرانيا، ولأنها المصدر الرئيس للمواد الغذائية لأنها دولة زراعية، وسوق لتصريف المنتجات الاوربية، كما انها معبر لمرور الغاز من روسيا الى الاتحاد الأوروبي، فهي ذات اهمية لوجستية" بالنسبة لأوربا.[13] ، اضافة الى ان نصف سكانا اوكرانيا ينتمون للأصول وللثقافة الغربية، ودائمو الرغبة للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي والتحرر من التبعية لروسيا التي يسيطر عليها رجال الاعمال المرتبطين بالكرملين ينهبون ثرواتها ويستأثرون بخيرات البلاد اما الطبقات الاخرى تعيش الفقر والحرمان، سيما ان دول بولندا ودول البلطيق كانت تعيش بذات المستوى المعيشي لأوكرانيا وعندما دخلت الى الاتحاد الاوربي عاشت نهضة اقتصادية الامر الذي جعل الاوكران يحلمون بالانضمام للاتحاد الاوربي لتحقيق نهضة اقتصادية على غرار هذه الدول [14]، كما ان اوربا تسعى دائما لضم اوكرانيا الى الاتحاد الاوربي بدافع مصالح اقتصادية مع دوافع سياسية واستراتيجية ولكسب دولة تابعة للنفوذ الروسي لتقليل تأثير وهيمنة روسيا على هذه المنطقة حيث كان دائم الرغبة منذ عام (2004) على دعم فرص التعاون بينه وبين الدول الواقعة على جوار حدوده وعمل اصلاحات سياسية واقتصادية لضمان عدم حدوث خلافات وانقسامات مستقبلية بينه وبين هذه الدول، فجاءت رغبة الاتحاد الاوربي عام (2007) بتعزيز العلاقات الاوكرانية عن طريق اقامة منطقة تجارة حرة وقد اتخذ اجراءات رسمية مع الحكومة الاوكرانية وساعدهم في ذلك انضمام اوكرانيا الى منطقة التجارة الحرة عام (2008)، وبعد مجيء الازمة الاقتصادية (2009) عمل الاتحاد الاوربي على تحسين الاوضاع حتى لا تَنظر المصالح المرتبطة بأوكرانيا لكن بعد تغير النظام بعد الانتخابات في اوكرانيا بعد الازمة (2010) جدد الاتحاد الاوربي العرض ووعد بقروض من صندوق النقد الدولي، لكن العرض الروسي كان اقوى، فكانت خطوة غير محسوبة

للاتحاد الاوربي لخوفه على مصالحه في اوكرانيا قام بأنشاء برنامج الشراكة الشرقية كخطوة من اجل التقرب من الدول اوربا الشرقية وزيادة العلاقات معها وكسب منطقة نفوذ في على حساب النفوذ الروسي [15]

الاستنتاجات : -

1 - يشكل الصراع في اوكرانيا نقطة مفصلية مهمة في تاريخ اوربا لحفظ حلف الناتو من الانهيار ، و قد تكون نقطة مفصلية ايضا لحماية الكرملين من الانهيار مرة اخرى امام حلف الناتو ، فسلامة اي جزء من اوكرانيا (و اقليم الدونباس) تعني سلامة شرق اوربا .

2 - رغم المكانة الدولية التي تحظى بها روسيا الاتحادية الا انها مازالت تعاني من حرمانها البحري و غايتها في الوصول الى المياه الدافئة و هذا ما نراه في احتلالها للقرم عام 2014 و سيطرتها على مدينة ماريوبول .

3 - الحرب القائمة بين روسيا و وكرانيا ستستمر لانها مسالة اثبات قوى و العدول عنها يعد بمثابة هزيمة لاحد الطرفين .

الهوامش

[1]- **زياد زكريا ، الأزمة الروسية - الأوكرانية و عودة الاعتبار لـ "الجيوبوليتيك ،الاهرام ، تحليلات شؤون دولية ، 2022/3/1**

[2] -ВОЕННЫЙ КОНФЛИКТ НА ВОСТОКЕ УКРАИНЫ: ДЕМОГРАФИЧЕСКИЕ ПОТЕРИ И СДВИГИ В НАЦИОНАЛЬНОЙ СТРУКТУРЕ НАСЕЛЕНИЯ ДОНБАССА ،НАУКА ЮГА РОССИИ (ВЕСТНИК ЮЖНОГО НАУЧНОГО ЦЕНТРА) 2016 Т.12 Ne 2 С. 82 – 90 SCIENCE IN THE SOUTH OF RUSSIA 2016 Vol. 12 Issue 2 P. 82–90.

[3] -MEHMET ÇAĞATAY GÜLER ،DONBAS CRISIS: GEOPOLITICAL IMPORTANCE, THE DIPLOMATIC PROCESS, AND RECENT DEVELOPMENTS ، seat ANALYSIS ، 2021 ،p 9 .

[4] - MEHMET ÇAĞATAY GÜLER، DONBAS CRISIS: GEOPOLITICAL IMPORTANCE, THE DIPLOMATIC PROCESS, AND RECENT DEVELOPMENTS،setal ANALYSIS ،MAY 2021 NO.73 ،PH 7 – 15.

[5] - Sabine Fischer ، The Donbas Conflict Opposing Interests and Narratives, Difficult Peace Process ، SWP Research Paper ، Stiftung Wissenschaft und Politik German Institute for International and Security Affairs Sabine Fischer The Donbas Conflict Opposing Interests and Narratives, Difficult Peace Process SWP Research Paper 5 April 2019, Berlin ، p8-14.

[6]- .أحمد بن ضيف الله القرني ، أوكرانيا في الجيوبوليتيك الروسي ، معهد الدولي للدراسات الايرانية ، 15 مايو 2022 ، ص 27 .

[7] - РОССИЙСКО-УКРАИНСКИЙ КОНФЛИКТ В КОНТЕКСТЕ ГЕОПОЛИТИЧЕСКИХ ПЕРЕМЕН, Материалы для трехсторонней экспертной встречи , ЦЕНТР РАЗУМКОВА ,27-28 февраля 2017г., Берлин.

[8] - SWP Research ، Paper Stiftung Wissenschaft und Politik German Institute for International and Security Affairs Sabine Fischer The Donbas Conflict Opposing Interests and Narratives, Difficult Peace Process

[9] - Sabine Fischer، The Donbas Conflict Opposing Interests and Narratives, Difficult Peace Process، German Institute for International and Security Affairs Sabine Fischer The Donbas Conflict Opposing Interests and Narratives, Difficult Peace Process SWP Research Paper 5 April 2019, Berlin ،p7- 12.

[10]- فيرونيكا حليم فرنسيس ،جيوبوليتكية السياسية الخارجية الروسية " دراسة في اثر الجيوبوليتكا في علاقة روسيا بدول الجوار، كلية الدراسات الاقتصادية و العلوم السياسية ، 2019 ، ص 172.

[11]- جورج فيشان، أوكرانيا والقرم في السياسة الروسية، ترجمة محمود الحرثاني، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2004،ص3.

[12] - تحسين الحلبي، مستقبل الاتحاد الأوروبي في ظروف التوازنات الدولية الراهنة، مجلة الوطن، 2017.
http://www.alwatan.sy

[13]- .نبهان زمبور السعدي، الاهمية الجيوسياسية للجمهورية الاوكرانية من منظور التنافس الروسي والامريكي- الاوربي، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 77، 2016.، ص 239.

[14]- محمد الأمين مقراوي الوغليسي، الأزمة الأوكرانية جذورها .. خلفياتها ومستقبلها..بين يدي الأزمة.. الإسلام والعلاقات الدولية، مجلة البيان، 2015، ص 20 .

[15]- نبهان زنبور السعدي، مصدر سابق، ص240.

الخرائط :

1- political Map of Ukraine ,Europ- Nations Online project

2- المصدر: فيحاء كامل عباس، الأهمية الجيوبولتيكية لشبه جزيرة القرم في الأمن القومي الروسي، رسالة دكتوراه (غير منشوره)) كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2017، ص158.